محاولات إصلاح هيكلة الخلافة العباسية
ومدى نجاحها
(232 - 334 هـ / 847 – 945 م)

أ. أمحمد علي أمحمد التائب

باحث دكتوراه بكلية الآداب

جامعة عين شمس

محاولات إصلاح هيكلة الخلافة العباسية ومدى نجاحها

232-334هـ/ 847-945م

أ. أمحمد علي أمحمد التائب (*)

بدأ العصر العباسي الثاني ، وعصر نفوذ الأتراك ، بعصر الخليفة المتوكل على الله . فقد ورث المتوكل أعباء التركة الثقيلة التي تركها أبوه المعتصم بالله وأخوه الواثق بالله ، نتيجة سياستهما في الاعتماد على الأتراك ، في السياسة والإدارة . وكان المعتصم قد أحدث انقلابا سياسيا خطيرا في الدولة العباسية حين تحول عن السياسة العباسية التقليدية في الاعتماد على العناصر الفارسية إلى الاعتماد على الأتراك . ولكن عصر المعتصم كان فترة تحول وانتقال ، كما كان المعتصم من قوة الشكيمة والحزم ما يجعله يمسك بزمام الموقف في يديه . أما عصر الواثق بالله ، فهو فترة قصيرة ، استمرت أقل من ست سنوات (٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤١ -٨٤٦م) ، بدأ خلالها سيطرة الأتراك ، حيث أخذ الأتراك يجمعون في أيديهم أطراف السلطة والنفوذ ، حتى إذا تولى الخليفة المتوكل على الله اتضح الموقف وظهر النفوذ التركي جليا سافرا .

كان مولد المتوكل سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م وهو جعفر أبو الفضل بن المعتصم بن الرشيد ، أمه أم ولد اسمها شجاع . وكان في الحادية عشرة من عمره حينما تولى أبو المعتصم بالله الخلافة سنة (٢١٨هـ / ٨٣٣م) وعاصر المتوكل أحداثا سياسية كثيرة أثرت في اتجاهاته السياسية حينما تولى الخلافة ، فقد اتبع المعتصم وصية أخيه المأمون في حمل الناس على القول بخلق القرآن ، مع أنه لم يكن له حظ من العلم يجعله ذا رأي في مثل هذه المسألة ، وإنما كان ينفذ وصية المأمون، وزاد عليه في إلحاق الأذى بكل من لم يعترف بذلك من العلماء وأهل الرأي .

كما تأثر المتوكل بموقف أبيه المعتصم من العلويين والشيعة ، فقد قامت في سنة (٢١٩هـ/٨٣٤م) حركة شيعية تزعمها محمد بن القاسم بن عمر بن على بن

(*) باحث دكتوراه بكلية الآداب – جامعة عين شمس .

الحسين بن علي بن أبى طالب ، وهى حلقة في سلسله حركات الشيعة الزيدية . شهد المتوكل في حياة أبيه ، سياسة التحول على الاعتماد على الفرس ، إلى سياسة الاعتماد على الأتراك . كما شهد بناء مدينة سامراء في سنة (٢٢١هـ / ٨٣٥م) وعاش المتوكل في رحاب أبيه ، في قصر الخلافة ، ثم شهد المتوكل بناء الخليفة الواثق لقصر الهاروني .

وعاصر المتوكل في حياة أبيه المعتصم حركات الزنادقة وحركتي المازيار والأفشين التي تصور مساوئ الاعتماد على العناصر الأجنبية .

وكان لهذه الأحداث أكبر الأثر في اتجاهات المتوكل السياسية أثناء توليه الخلافة كما سيتضح في هذا المبحث .

يقدم الطبري رواية تصور الموقف عند وفاة الواثق ، وطريقة تولية المتوكل الخلافة فيروى " أن الواثق لما توفي ، حضر الدار أحمد بن أبى دؤاد. وإيتاخ ووصيف وعمر بن فرج ، وابن الزيات ، وأحمد بن خالد أبو الوزير ، فعزموا البيعة لمحمد بن الواثق ، وهو غلام أمرد، فألبسوه دراعة سوداء وقلنسوة رصافية، فإذا هو قصير ، فقال لهم وصيف : أما تتقون الله تولون مثل هذا الخلافة وهو لا يجوز معه الصلاة . فتناظروا فيمن يولونها ، فكروا عدة فذكر عن بعض من حضر الدار مع هؤلاء أنه قال : خرجت من الموضع الذي كنت فيه فمررت بجعفر المتوكل ، فإذا هو في قميص وسروال قاعداً مع أبناء الأتراك فقال لي : ما الخبر ؟ فقلت : لم يتقطع أمرهم ثم دعوا به فأخبره بغا الشرابي الخبر ، وجاء به فقال : أخاف أن يكون الواثق لم يمت ، قال : فمر به ، فنظر إليه مسجى، فجاء فألبسه أحمد بن أبى دؤاد الطويلة وعممه وقبله بين عينية وقال : السلام عليكم يأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ثم غُسل الواثق وصلى عليه ودُفن . ثم صاروا من فورهم إلى دار العامة " .

ذكر ابن الأثير في سنة (٢٣٢هـ/ ٨٣٦م) بويع المتوكل علي الله جعفر بن المعتصم بعد موت الواثق حيث حضر الدار أحمد بن داؤد وإيتاخ ووصيف وعمر بن فرج وابن الزيات وأبو الوزير أحمد بن خالد وعزموا علي البيعة لمحمد بن

الواثق وهو غلام أمرد فصير فألبسوه دراعة سوداء وقلنسوة فإذا هو قصير، فقال وصيف: أما تتقون الله ؟ تولون هذا الخلافة ! : فتناظروا فيمن تولونه . فذكروا عدة ، ثم احضر المتوكل فلما حضر ألبسه أحمد بن داؤود الطويلة ، وعممه وقبل بين عينيه ، وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. وكان عمر المتوكل يوم بويع ستا وعشرين سنة وكان لابد من اتخاذ لقب جديد لجعفر بن المعتصم .

كما يقول ابن خلدون : لما توفي الواثق : أبو جعفر هارون بن المعتصم حضر في داره أحمد بن أبيَ داؤود وإيتاخ ووصيف وعمر بن فرج وابن الزيات وأراد البيعة لمحمد الواثق وهو غلام أمرد ، فألبسوه فإذا هو قصير فقال وصيف : أما تتقون الله تولون الخلافة مثل هذا ؟ ثم تناظروا فيمن يولونه فأحضروا المتوكل فألبسه بن أبي داؤود الطويلة وعممه وسلم عليه بإمارة المؤمنين . واختار له محمد بن عبد الملك الزيات لقب (المنتصر بالله)، ولكن الخليفة الجديد قال لأحمد ابن أبي داؤود أنه قد "رأى في النوم كأن سكرا سليمانيا يسقط عليه في السماء مكتوب عليه جعفر المتوكل علي الله"، فوافق قاضي القضاة وكتبوا بذلك إلى الآفاق .

وكتب محمد بن عبد الملك الزيات صيغة البيعة ، وكان يتولى ديوان الرسائل وكتب عدة رسائل بلقب الخليفة الجديد وكانت الصيغة كما يلي "بسم الله الرحمن الرحيم . أمر– أبقاك الله أمير المؤمنين أطال الله بقاءه أن يكون الرسم الذي يجرى به ذكره على أعواد منابره وفي كتبه إلى قضائه وكتّابه وعمّاله وأصحاب قضائه وأصحاب دواوينه وغيرهم من سائر من تجرى المكاتبة بينه وبنيه : " من عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين" فرأيك في العمل بذلك وإعلامي بوصول كتابي إليك موفقا أن شاء الله " .

موقف المتوكل من الأتراك :

رغم أن المتوكل كان هو أول خليفة في العصر الثاني ، وفي عصر نفوذ الأتراك ، إلاّ أنه كان من الخلفاء الأقوياء ، وقد ورث قوة الشكيمة والشخصية عن

أبيه المعتصم كما ورث المتوكل تركة مثقله الأعباء عن أبيه المعتصم وعن أخيه الواثق ، نتيجة تضخم سلطان الأتراك. فقد أصبح النفوذ التركي حقيقة واقعة في الدولة العباسية، إذ تغلغل الأتراك في الجيش والإدارة واصطبغت العاصمة العباسية الجديدة سامراء بصبغة تركية واضحة . ولم يكن المتوكل بالخليفة الذي يخضع تماما للأتراك او يحنى لهم رأسه ، وظل خمسة عشر عاما يكافح تضخم النفوذ التركي متبعا في ذلك شتى الوسائل والسياسات .فكان ينكّل بالشخصيات التركية البارزة ويضرب الأتراك بعضهم ببعض ، ويضم إلى حاشيته وجهازه الحكومي عناصر أخرى غير تركية ،عربية وخراسانية ، ثم يحاول نقل عاصمته إلى دمشق. ولكن كل جهود المتوكل ومحاولات لم تجد شيئا أمام قوة الأتراك وكثرة عددهم كما سيأتي ذكره لاحقاً .

تولى المتوكل الخلافة بقوة النفوذ التركي ، وقد كان يبغض الوزير محمد بن عبد الملك الزيات ويحقد عليه ، لأنه كان أهانه في عهد أخيه الواثق ثم زاد حقده عليه لأن الوزير كان من الحزب الراغب في تولية محمد بن الواثق ، وبذلك عهد المتوكل إلى إيتاخ التركي باعتقاله فاستدرجه وحبسه وصادر أمواله ثم عذبه وقتله (١) . وقوى مركز إيتاخ عند الخليفة ، فعهد إليه بكثير من المناصب فولاه الجيش والمغاربة والأتراك والأموال والحجابة ودار الخلافة .

إلاّ أن المتوكل ما لبث أن أدرك حقيقة الأتراك ، ولمس منهم الاستبداد بشؤون الخلافة ، وأحس منهم قلة الاحترام لشخصه ، فلقد خرج مرة متنزها إلى ناحية القاطول ، وشرب وعربد على إيتاخ ، فهمّ إيتاخ بقتله ، فلما أصبح أخبر المتوكل بذلك فأعتذر إلى إيتاخ وقال له :" أنت أبى وربيتني " . ولقد أثر هذا الحادث في نفس المتوكل وأحس منه بالمهانة ، لذلك دبر مكيدة أبعد بها إيتاخ عن سامراء ثم أسند الحجابة بعده إلى وصيف . وخطى المتوكل خطوة أخرى وذلك بتقرير ولاية العهد من بعده ، ولعله قصد أن يبعد الأتراك عن التدخل في اختيار الخلفاء ، فعقد البيعة لبنيه الثلاثة بولاية العهد ، وهم محمد ولقبه المنتصر بالله ، وأبو عبد الله محمد ولقبه المعتز بالله ، وإبراهيم ولقبه المؤيد بالله ، وعقد لكل واحد

منهم لواءين أحدهما أسود وهو لواء العهد ، والآخر أبيض وهو لواء العمل. وقسم إدارة الدولة بينهم متبعا في ذلك التقسيم الذي جرت عليه الخلافة العباسية منذ عهد المهدي . حيث عهد بالمغرب لولي العهد الأول والمشرق لولى العهد الثاني. وبذلك أعاد الخليفة المتوكل تقاليد الخلافة القديمة. فأما المنتصر فولاه المغرب كله ، وأما المعتز فولاه المشرق كله ، وأما المؤيد فأقطعه جند حمص وجند دمشق وجند فلسطين .

ثم أضاف للمعتز في سنة (٢٤٠هـ/٨٥٤م) مخزن الأموال في جميع الآفاق ودور الضرب وأمر أن يضرب اسمه على الدراهم وبذلك حرم المتوكل الأتراك مما كان في أيديهم من الولايات والمناصب الكبيرة . وكثرت في عهد المتوكل التغيرات السياسية والإدارية ، وتعددت صور التنكيل والاغتيالات، ولم تأخذ السياسة خطا واحدا ثابتا متميزا ، فالخليفة يحاول جاهدا الاحتفاظ بنفوذ الخلاص من الرؤوس التي تحاول الارتفاع وتميز هذا العهد أيضا بالمصادرات ، حيث استكتب المتوكل رجلا من كتّابه هو أحمد بن خالد أبو الوزير ، ولم يتلقب بلقب الوزارة وما لبث المتوكل أن نكبه وصادر من أمواله وقدرها مائتي ألف دينار ، ثم استوزر أبا جعفر محمد بن الفضل الجرجرائي ، ثم كثرت السعايات به فعزله ، وقال المتوكل : لقد ضجرت من المشايخ . أريد حادثا استوزره فولى عبيد الله بن خاقان .

وفي سنة (٢٢٣هـ/٨٣٧م) ، غضب المتوكل على بن فرج وسجنه ، وصادر ضياعه وأمواله وأملاكه ومواليه ، بل صادر الخليفة أموال أخيه محمد بن فرج . وما لبث المتوكل أن أطلق سراح عمر بن فرج ، على أن يدفع إلى الخليفة عشرة ملايين درهم ، ويحتفظ عمر بضياعه في الأهواز . وتكررت المصادرات، فصادر المتوكل أموال إبراهيم بن الجنيد النصرانى ، حيث بلغت أمواله سبعين ألف دينار .

كما ذكر شاكر مصطفى في صراع المتوكل مع الأتراك أن المتوكل بدأ النضال معهم . وكانت خلافته نوعا من الصراع الصامت، الخفي حينا ، والصريح

أحيانا ، وبالرغم من أنهم اختاروه للخلافة ، فإنه من الملاحظ أن اشتراك كبار رجال الإدارة معهم مثل أبى دؤواد وابن الزيات وعمر بن الفرج قلل من خطر التجربة ، ولكنه سجل بادرة خطر .ولم يمنع من اصطدام خليفة قوى ، كالمتوكل بنفوذهم المتعاظم كجماعة مسلحة .

أما المسعودي فقال : "وجفا المتوكل الموالي من الأتراك واطرحهم وحط مراتبهم وعمل على الاستبداد بهم والاستظهار عليهم" . ثم أإن المتوكل قام بادخال فرقة عربية في الجيش ، إذ ضم إلى وزيره عبيد الله بن يحيى بن خاقان اثني عشرة ألفا من العرب ، ومن الصعاليك ، وغيرهم برسم المعتز .وكان في حجرة وأخذا يجيل الآراء في استئصالهم (الترك) وحاول تشتيت زعمائهم فقبض أملاك (وصيف) وأقطعها للفتح بن حاقان . وعزم على الفتك بوصيف وبغا) . ورأى المتوكل الخلاص من إيتاخ ، فدبر خطة محكمة تحقق هدفه ، وتجنبه سخط الأتراك ، فرأى اغتيال إيتاخ في بغداد . بعد عودته من الحج . وأرسل المتوكل حاجبه سعيد بن صالح بالهدايا الفاخرة ، ليقدمها إلى إيتاخ حينما يصل إلى الكوفة واشترك في تدبير المؤامرة إسحاق بن إبراهيم وهو رجل مخضرم ، كان له نفوذه في قصر الخلافة منذ عهد المأمون ، وهو من أصل فارسي . كما اشترك في المؤامرة أيضا عامل الشرطة في بغداذ . وخزيمة بن خازم أحد وجوه بغداد .

وأراد إيتاخ أن يسلك طريق الفرات إلى الأنبار ، ثم إلى سامراء ، ولكن إسحاق بن إبراهيم أقنعه بالمرور ببغداد ، فقال له : إن أمير المؤمنين ، أطال الله بقاءه ، قد أمر أن تدخل بغداد وأن يلقاك بنو هاشم ووجوه الناس ، وأن تقعد لهم في دار خزيمة بن حازم فتأمر لهم بجوائز. وكان إيتاخ في ثلاثمائة من غلمانه حتى إذا مروا بجسر بغداد منعوا الغلمان من المرور ، وأصبح إيتاخ في أربعة من الغلمان ودخل دار خزيمة ، وكان قد أحسن فراشها وتزيينها ، وأغلقت أبواب الدار وانتشرت الشرطة حولها ، وبعد يومين أو ثلاثة صحبه إسحاق بن إبراهيم في حراقة (سفينة) في حراسة الشرطة إلى دار إسحاق ، وهناك تم تكبيله بالأغلال وقبضت الشرطة على ابنيه منصور ومضفر وعلى كاتبيه سليمان بن

وهب وقدامة بن زياد النصراني وكان طعام إيتاخ رغيفا واحد من الخبز وقدحا من الماء . ولم يتحمل إيتاخ هذه الأغلال وهذا التجويع فمات في ٢٥من جماد الآخر سنة (٢٣٥هـ /٨٤٩م) .

ويقول ابن خلدون في ذلك : " فلما قارب إيتاخ بغداد كتب إليه إسحاق بأن التوكل أمر أن يدخل بغداد وأن تلقاه بنو هاشم ووجوه الناس وأن يقعد بدار خزيمة بن خازم فيأمر للناس بالجوائز على قدر طبقاتهم ففعل ذلك ، ووقف إسحاق على باب الدار فمنع أصحابه من الدخول إليه ووكل بالأبواب ثم قبض على ولديه منصور ومضفر وكاتبيه سليمان بن وهب وقدامة بن زياد ، وبعث إيتاخ يسأله الرفق بالولدين ففعل ، ولم يزل إيتاخ مقيدا بالسجن إلى أن مات فقيل أنهم منعوه الماء وبقى ابنيه محبوسين إلى أن أطلقهما المنتصر بعد المتوكل " . ولم يكن المتوكل يستطيع الخلاص من إيتاخ التركي في سامراء ، حيث يحتشد آلاف من غلمانه وأتباعه وأنصاره . ولذا كانت بغداد أصلح مكان لتدبير هذه المؤامرة ، وفي ذلك يقول الطبري : " ولو لم يؤخذ ببغداد ما قدروا على أخذه ، ولو دخل إلى سامراء فأراد بأصحابه قتل جميع من خالفه أمكنه ذلك". وأصبح يطلق على إسحاق بن إبراهيم اسم صاحب الجسر لنجاحه في حجز غلمان إيتاخ على جسر بغداد .

أما ابن الأثير فيقول : لقد نجح المتوكل في محاولته إبعاد إيتاخ عن سامراء ثم قتله ، ولكنه أسند الحجابة إلى قائد تركي آخر وهو وصيف ، وهذا يشير إلى تعاظم النفوذ التركي بحيث لم يستطع الخليفة التخلص منهم بل الاعتماد على قسم منهم لضرب القسم الآخر، وقد أدى ذلك إلى كثرة الشغب .

أحس المتوكل بالضيق من هذا الجو الخانق الذي يثيره الأتراك ، وأحس ببغضهم له وتربصهم به ، فكان عليه أن يفكر في وسيلة يتخلص بها منهم ويعيد أمور الدولة سيرتها الأولى . ولكن وجوده في سامراء خطراً عليه ، ولذا فكر في نقل العاصمة من العراق إلى دمشق لعله يجد في الشام من العنصر العربى ما يقف به في وجه هذا العنصر التركي . لكن العلاقة بين العباسيين وبين أهل الشام لم تكن طيبه منذ قيام الدولة العباسية ، وزادها سوءا ما حدث في أيام المعتصم حين

ثار المبرقع اليماني ، وثار أهل دمشق ، فعصفت بهم الدولة . فلم يستطع المتوكل لذلك تحقيق غايته بين أظهرهم ، بل شغب عليه أهل الشام فاجتمعوا يطلبون الأعطية ، ثم خرجوا إلى تجريد السلاح والرمى بالنشاب .

وذكر ابن الأثير : أن المتوكل حاول نقل العاصمة من سامراء إلى دمشق سنة (٢٤٤هـ/٨٥٨م) ، حيث يكون هناك بين العرب ، فعزم على المقام بها ونقل دواوين المُلك إليها وأمر بالبناء بها ، ولكن هذه الخطوة فشلت حيث أجبره الأتراك على الرجوع إلى سامراء ، ولم يسنده العرب في الشام بل شغب عليه جُند الشام وطالبوه بالعطاء ، ثم تجرأوا إلى حد البدء برمي النشاب على مقر الخليفة .

غير أن حسن إبراهيم يرى أن المتوكل بنقله الخلافة إلى الشام ليجعل العرب عمادها وأعوانها ، تبرما بالترك وكثرة ما أحدثوا في الدولة من فوضى وإفساد للشؤون العامة حتى ضاق بهم أهالي العراق ولم ينج الخلفاء من شرهم .

كما أمر المتوكل سنة (٣٤٥هـ/٩٥٦م) ببناء مدينة المتوكلية والتي أُطلق عليها أيضا مدينة الجعفرية شمالي سامراء وعرف الناس أنه يهرب من الترك ، بل أنهم أشاعوا أنه اعتزم الفتك بهم . أما المتوكل فأعلن أنه يريد على حد قول اليعقوبي "بناء مدينة تنسب إليه ، ويكون له بها الذكر" .

وقال حين تم البناء الآن علمتُ أني ملك . إذ بنيتُ لنفسي مدينة سكنتها ومن الواضح أن المتوكل إنما يعني بهذا استقلالهُ وخلاصةُ من ضغط الأتراك .

دورالأتراك في اغتيال المتوكل:

انتهت حياة المتوكل على الله بعد حكم دام خمسة عشر عامًا ، وهو أول خليفة يقتل في سامراء ، ويمكن حصر الأسباب التي أدت إلى قتله بسببين رئيسيين أولهما سوء علاقته بابنه الكبير وولى عهده محمد المنتصر وثانيهما سياسته اتجاه الأتراك المتغلبين على شؤون الدولة ، وبذلك رأى الأتراك من الأفضل لهم الخلاص من المتوكل ، فبدأ بغا الصغير المعروف بالتآمر ، واستعان بباغر التركي ، وأراد بغا أن يختبر جرأته ومدى طاعته واستجابته لأوامره ومدى استعداده للقتل ،

فتظاهر بغا أنه يريد الاستعانة بباغر في قتل ولده فارس لخروجه عن طاعته ، فـإذا قبل باغر ذلك ، أمره بعد ذلك بقتل المتوكل .

وفي رواية للمسعودى : " ولما عزم بغا الصغير على قتل المتوكل ، دعا بباغر التركي وكان قد اصطنعه واتخذه وملأ عينيه من الصلات ، وكان مقداما أهوج ، فقال له : يا باغر ، أنت تعلم محبتي لك وتقديمي إياك وإيثاري لك وإحساني إليك ، وإني قد صرت عندك في حد من لا يعصى له أمر ، ولا يخرج عن محبته . وأريد أن آمرك بشيء فعرّفني كيف قلبك فيه ، فقال : أنت تعلم كيف أفعل ، فقل لي ما شئت حتى أفعله . قال : إن ابني فارس قد أفسد عليّ عملي وعزم على قتلي وسفك دمى ، وقد صحّ عندي ذلك منه" .

وجعل بغا علامة لباغر، فأشار عليه بأنه إذا وضع قلنسوتة أقدم باغر على قتل فارس بن بغا . ولكن المجلس اجتمع وانفض ، دون أن يضع بغا قلنسوته . ويبرر بغا عدوله عن قتل ابنه فقال لباغر : أعلم أنى فكرت في أنه حدث وأنه ولدي وقد رمت أن استخلصه هذه المرة وأبدى باغر طاعة عمياء لبغا ، فقال : أنا قد سمعت وأطعت ، وأنت أعلم وما دبرت وقدرت عليه فيه صلاحه .

ورغم الهدف النهائي لبغا الصغير هو اغتيال المتوكل فقد رأى معاودة اختيار ولاء وطاعة باغر، فزعم أنه يريد منه اغتيال وصيف التركي ، فقال بغا لباغر : وههنا أمر أكبر من ذلك وأهم ، فعرّفني كيف تريد أن تكون فيه . فقال باغر : قل ما شئت حتى أفعله . فقال بغا : أخي وصيف قد صح عندي أنه يدبر عليّ وعلى رفقائي : وأن مكاننا قد ثقل عليه وأنه عوّل على أن يقتلنا ويفنينا وينفرد بالأمور. فسأل باغر : فماذا تريد أن يُصنع به ؟ فقال بغا : أفعل هذا فـإنه يصير إلى غد فالعلامة أن أنزل عن المصلى الذي يكون معي قاعدا عليه ، فـإذا رأيتني نزلت عنه فضع سيفك عليه واقتله . وأبدى باغر طاعة عمياء ووافق على قتل وصيف ولكن بغا لم يعط باغرا (العلامة) المتفق عليها ، ثم أعلن لباغر عدوله عن قتل وصيف ، فقال لباغر يا باغر ، إني فكرت في أنه أخي وأني قد عاقدته وحلفت له فلم أستجرأ أن أفعل ما دبرته .

وهكذا نجح باغر في دورتي الامتحان اللتين عقدتا له ومُنح كثيرا من الأموال والصلات ، ثم انقطع عنه فترة ، وقد تأكد من طاعته العمياء. وبعد فترة ، دعا بغا إليه باغرا وقال له : يا باغر، قد حضرت حاجة أكبر من الحاجة التي قدمتها فكيف قلبك ؟ فأجاب باغر: قلبي على ما تحب ، فقل ما شئت حتى أفعله . ولم يشأ بغا للمرة الثالثة ، أن يدخل إلى جوهر الأمر مباشرة ، وهو قتل المتوكل بل أراد أن يدفع باغرا نفسه إلى أن يقترح هو اغتيال المتوكل ، فقال بغا في إلتواء وخبث : هذا المنتصر قد صح عندي أنه على إيقاع التدبير علي وعلى غيري حتى يقتلنا ، وأريد أن أقتله ، فكيف ترى نفسك في ذلك ؟ وفكر باغر فترة، ثم قال : هذا لايجيء منه شيء . فسأل بغا وكيف ؟ فقال باغرا مستنكرا قول بغا: يقتل الابن والأب باق ؟ إذا لا يستوي لكم شيء ، ويقتلكم أبوه كلكم به . فتساءل بغا في خبث : فما ترى عندك ؟ فأجاب باغر : نبدأ بالأب أولا فنقتله ، ثم يكون أمر الصبي أيسر من ذلك ، وتظاهر بغا بالدهشة وتساءل في خبث : ويحك ، ويعقل هذا ويتهيأ ؟ فقال باغر : نعم أفعله وأدخل عليه حتى أقتله . وتظاهر بغا بالتردد في قبول الخطة وشكه في تنفيذها . فقال باغر في إصرار معبرا عن طاعته العمياء وعن تفانيه في ولائه لبغا ، فأدخل أنت في أثري فإن قتلته وإلا فاقتلني وضع سيفك علي وقل (أراد أن يقتل مولاه) ، ويعلق المسعودي على هذا الحوار فيقول : " فعلم بغا حينئذ أنه – أي باغر قاتله ، وتوجه في التدبير في قتل المتوكل " . ولعبت الأقدار دورها في تدبير مأساة مصرع المتوكل . فقد علم المتوكل أن رجلا من البصرة يمتلك سيفا هنديا لا نظير له .فكتب إلى عامل البصرة يأمره بشراء هذا السيف من مالكه ، مهما طلب من ثمن . وكتب عامل البصرة إلى المتوكل بأن رجلا من اليمن قد سبق في شراء السيف . وكتب المتوكل إلى عامله باليمن يأمره بشراء السيف فاشتراه بعشرة آلاف درهم . وأبدى المتوكل سروره لامتلاكه هذا السيف ، ثم قال المتوكل للفتح بن خاقان : أطلب لي غلاما تثق بنجدته وشجاعته وأدفع له هذا السيف ليكون واقفا به على رأسي لا يفارقني في كل يوم مادمت جالسا . وهنا يقول المسعودي : " فلم يستتم المتوكل الكلام حتى

أقبل باغر التركي ، فقال الفتح : يا أمير المؤمنين هذا باغر التركي قد وصف لي بالشجاعة والبسالة وهو يصلح لما أراد أمير المؤمنين . فدعا به المتوكل، فدفع إليه السيف وأمره بما أراد ، وتقدم أن يزداد في مرتبته ، وأن يضعّف له الرزق " .

ثم كانت القشة التي قصمت ظهر البعير ، فقد غضب المتوكل على وصيف التركي وأراد مصادرة أمواله ، رغم دور وصيف في ترشيح المتوكل للخلافة بعد وفاة الواثق . وكانت خطوة خطيرة أقدم عليها المتوكل بدون تفكير عميق . وعلم وصيف بأن المتوكل سيقوم بمصادرة ضياعه في أصبهان والجبل وإقطاعها للفتح بن خاقان في سنة (٢٤٧هـ/٨٦١م) فرأى وصيف الخلاص من المتوكل ، كما دفعه بالأمس إلى الخلافة. وأراد المتوكل الخروج لصلاة الجمعة الأخيرة من رمضان، وقدم بنو هاشم وطلاب الحاجات من بغداد إلى سامراء ، لتقديم عرائضهم ومطالبهم وشكاياتهم للخليفة . وتقدم الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، والفتح بن خاقان إلى المتوكل ينصحانه بالعدول عن الخروج للصلاة بالناس ، وقالا له : يا أمير المؤمنين إن الناس قد اجتمعوا وكثروا من أهل بيتك وبعض متظلم ، وبعض طالب حاجة ، وأمير المؤمنين يشكو ضيق الصدر ووعكة فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بعض ولاة العهود بالصلاة ونكون معه جميعا فليفعل . واستجاب المتوكل لرأيهما ، وأمر بأن يصلى ابنه المنتصر بالناس . ولكنهما رشحا ابنه الآخر المعتز وقالا في تعليل ترشيحهما : يا أمير المؤمنين مرّ أبا عبد الله المعتز بالله بالصلاة لتشرفه بذلك في هذا اليوم الشريف فقد اجتمع أهل بيته والناس جميعا فقد بلغ الله به . ووافق المتوكل مما أدى إلى إثارة غضب المنتصر الذي كان قد تهيأ للخروج إلى الصلاة بالناس ، " وكان ذلك مما زاد في إغرائه " .

ومن العوامل التي أدت عمق الخلاف بين المتوكل وابنه المنتصر هو تفضيل المعتز على أخيه المنتصر في بعض الأمور ويتضح ذلك في أول أيام عيد الفطر حيث ، أراد المتوكل أن يخرج ابنه المنتصر ليصلي بالناس . ولكن الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان أراد أن يحول دون ذلك ، فأقنع المتوكل بأن يخرج بنفسه للصلاة بالناس . كما كان المتوكل شغوفا بقبيحة (*) أم ولد المعتز ، ورأى أن يقدم

ابنه المعتز على أخويه المنتصر والمؤيد لمحبته لقبيحة أم المعتز، مما أدى إلى غضب المنتصر .

وأصبح لكل من المنتصر والمؤيد حزب مؤيد له وكثر الصراع بين رجال الدولة وانقسمت حاشية الخليفة على نفسها ، واشتد الصراع بين الفريقين ، وراح المتوكل شخصه ضحية هذا الصراع . وقد صور المسعودي هذا الصراع فقال "وقد كان بغا الصغير توحش من المتوكل فكان المنتصر يجذب قلوب الأتراك ، وكان أوتامش غلام الواثق مع المنتصر فكان المتوكل يبغضه لذلك وكان أوتامش يجتذب قلوب الأتراك إلى المنتصر ، وعبيد الله بن خاقان الوزير والفتح بن خاقان منحرفين عن المنتصر مائلين إلى المعتز، وكانا قد أوغرا قلب المتوكل على المنتصر ، فكان لا يبعد المتوكل أحدا من الأتراك إلا اجتذبه المنتصر، فاستمال إليه قلوب الأتراك وكثيرا من الفراغنة والأشروسنة " .

ثم كان يوم الفصل ، أو يوم المأساة ، وقد روى الطبري والمسعودي عدة روايات عن مقتل المتوكل تختلف في تفاصيلها وأشخاصها . ومن الروايات التي ذكرها المسعودي رواية عن البحترّي الشاعر وهى رواية شاهد عيان حيث عقد المتوكل مجلس لهو وشراب" وسكر المتوكل سكرا شديدا ، وكان من عادته أنه إذا تمايل عند سكره أن يقيمه الخدم الذين عند رأسه. فبينما نحن كذلك ومضى نحو ثلاث ساعات من الليل ، إذ أقبل باغر ومعه عشرة نفر من الأتراك وهم متلثمون والسيوف في إيديهم تبرق في ضوء تلك الشموع ، فهجموا علينا ، وأقبلوا نحو المتوكل حتى صعد باغر وآخر معه من الأتراك على السرير، فصاح بهم الفتح ويلكم مولاكم .. فلما رآهم الغلمان ومن كان حاجزا من الجلساء والندماء تطايروا على وجوههم ، فلم يبق أحد في المجلس غير الفتح وهو يحاربهم ويمنعهم. فسمعت صيحة المتوكل وقد ضربه باغر بالسيف الذي كان المتوكل دفعه إليه على جانبه الأيمن ، فقدّه إلى خاصرته ثم ثناه على جانبه الأيسر ففعل مثل ذلك. وأقبل الفتح يمانعهم عنه فبعجه واحد منهم بالسيف الذي كان معه في بطنه فأخرجه من فتنه ، وهو صابر لا ينتحي ولا يزال . فما رأيت أحدا كان أقوى نفسا ولا أكرم منه ثم

طرح بنفسه على المتوكل ، فماتا جميعا. فلفا في البساط الذي قتلا فيه وطرحا ناحية ، فلم يزالا على حالتهما في ليلتهما وعامة نهارهما حتى استقرت الخلافة للمنتصر، فأمر بهما فدفنا جميعا " .

وتتفق رواية البحتري مع رواية الفخري وهى : " وكانت بين المتوكل وبين ابنه المنتصر مباينة ، وكان كل منهما يكره الآخر ويؤذيه ، فاتفق المنتصر مع جماعة من الأمراء على قتلـه وقتل الفتح بن خاقـان . وكان أكبر أمرائه وأفضلهم ، فهجموا عليه وهـو يشرب ، فخبطوه بالسيوف فقتلوه وقتلوا الفتح معه وأشاعوا أن الفتح قتله فقتلناه به وجلس ابنه على السرير بعد ذلك ، في سنة (٢٤٧هـ/٨٦١م) "

ورثى الشاعر : علي بن الجهم الخليفة المتوكل ، فقال :

عبيـد أمـير المؤمنين قتلنـه   وأعظم آفـات الملـوك عبيدها
بنى هاشم ، صبراً فكل مصيبة   سيبلى على وجه الزمان جديدها

هكذا أصبح مصرع المتوكل مصرعا لسلطان الخلافة ومجدا للأتراك ، فلم يعد للخليفة معهم شيء إلاّ مظهر اسمي اقتصر على السكة والخطبة . وصار يضرب ذلك مثلا لمن له ظاهر الأمر ، وليس له من باطنه شيء ، فيقال : " قنع فلان من الأمر بالسكة والخطبة ، يعني قنع بالاسم دون الحقيقة " .

تألم الناصر لما وصلت إليه الخلافة وعبر الشعراء عن هذا الألم ، فبكوا المتوكل ، وبكوا معه مكانة الخلافة وحرمتها ، وتحسروا على عهد الفرس الذين كانوا يحتفظون للخليفة بأبهته وعظمته ، ويعملون ما عملوا في ظل خدمته ، وكان الناس يرون في الخلافة مجد الأئمة وعز الإسلام .

في سنة (٢٤٧هـ/٨٦١م) تمت مبايعة المنتصر ، والمنتصر هو أبو جعفر ، محمد بن المتوكل، وأمه أم ولد رومية اسمها حبشية .

ويقول السيوطي أنه " المنتصر بالله محمد أبو جعفر، وقيل : أبو عبد الله – ابن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد أمه أم ولد رومية اسمها حبشية ". وتولى

الخلافة وهــو ابن خمس وعشرين ســنة وكنيته أبو جعفر بالجعفرية ، فأقام بها بعد ما بويع له عشرة أيام ، ثم تحوّل منها بعياله وقوّاده وجنوده إلى سامراء .

كان طبيعيا أن يكون المنتصر خاضعا لنفوذ الترك ، ألم يرى كيف قتلوا أباه، واستخلف هو تحت ظلال سيوفهم ، فأنى له بالقوة التي يقف بها في وجوههم ، وبخاصة بعد أن أسلم لهم يده وقبل منهم ما فعلوه بأبيه ؟ !

بلغ سلطان الأتراك ذروته ، فلم يكن يستطيع الاجتراء على معارضتهم ، وكانوا هم يحرصون على تثبيت سلطانهم على الخلافة ، فيقصون عنها من يرون فيه احتمال معارضتهم . وقد خشوا من المعتز والمؤيد ابني المتوكل لو ولي أحدهما الخلافة بعد المنتصر . لذلك أمروا المنتصر أن يخلعهما من ولاية العهد ، حتى يحولوا بينهما وبين الوصول إلى منصب الخلافة ، وحتى يتركوا لأنفسهم الحرية في اختيار من يرون مصلحتهم في استخلافه ، ولم يملك المنتصر أن يعترض ، فأذعن للأمر وهو كاره وخلع أخويه ، ولكي يظهر سخطه ويعتذر من عمله دعا أخويه والأتراك وقوف . وقال : " أترياني خلعتكما طمعا في أن أعيش حتى يكبر ولدي وأبايع له ؟ والله ما طمعت في ذلك ساعة قط ، وإذا لم يكن في ذلك طمع ، فو الله لأن يليها بنو أبي أحب إلي من أن يليها بنو عمي . ولكن هؤلاء (الأتراك) ألحوا عليّ في خلعكما فخفت إن لم أفعل أن يعترضكما بعضهم بحديدة فيأتي عليكما .

في عام (٢٤٨هـ/٨٦٢م) خُلع المعتز والمؤيد أبناء المتوكل من ولاية العهد، وكان سبب خلعهما أن المنتصر لمّا استقامت له الأمور، قال أحمد الخصيب لوصيف وبغا وهما قائدان تركيان إنا لا نأمن الحدثان ، وأن يموت أمير المؤمنين، فيلي المعتز الخلافة فيُبيد حضراءنا ، ولا يبقي منّا باقية ، والآن الرأي أن نعمل في خلع المعتز والمؤيد . فجدّ الأتراك في ذلك ، وألحّوا على المنتصر ، وقالوا : نخلعهما من الخلافة ، ونبايع لابنك عبد الوهاب ، فلم يزالوا به حتى أجابهم ، وأحضر المعتز والمؤيد ، بعد أربعين يوما من خلافته، وجُعلا في دار، فقال المعتز للمؤيد : يا أخي ، قد أحضرنا للخلع ، فقال : لا أضنه يفعل ذلك ، فبينما هما كذلك

إذ جاءت الرسل بالخلع فقال المؤيد : السمع والطاعة ، فقال المعتز : ما كنتُ لأفعل ، فـإن أردتم القتل فشأنكم ، فأعلموا المنتصر، ثم عادوا بغلظة وشدة ، وأخذوا المعتز بعنف ، وأدخلوه بيتا ، وأغلقوا عليه الباب ، فلما رأى المؤيد ذلك قال لهم بجرأة واستطالة : ما هذا يا كلاب ؟ قد ضربتم على دمائنا، تثبون على مولاكم هذا الوثوب ، دعوني إياه حتى أكلمه ! فسكتوا عنه ، وأذنوا له في الاجتماع به بعد إذن المنتصر بذلك ، ثم دخل عليه أخوه المؤيد وقال له : تراهم نالوا من أبيك ، ثم تمتنع عليهم ، أخلع ويلك ، لا تراجعهم ! فقال : وكيف أخلع وقد جرى في الآفاق ؟ فقال هذا الأمر قتل أباك ، وهو يقتلك ، ثم خرج المؤيد وقال قد أجاب إلى الخلع فمضوا وأعلموا المنتصر .

وأدرك المنتصر أنه لم يعد له من الأمر شيء وأنه حين مالأ الأتراك على أبيه إنما مالأهم على قتل سلطان الخلافة نفسها . فأشتد كُرهه للأتراك ، وعزم على التخلص من زعمائهم . وكان كثيرا ما يبدي تبرمه بهم وبغضه لهم ، وعزمه على قتلهم حتى كان يسميهم "قتلة الخلفاء" ويسبهم في مجالسه ، ويقول لجلسائه "قتلني الله إن لم أقتلهم" وقد عمل علي تفريق جمع الأتراك فأخرج وصيفا في جمع كثير إلى غزاة الصائفة بطرسوس .ونظر يوما إلى بغا الصغير- وقد أقبل في القصر وحوله جماعة من الأتراك فأقبل على الفضل بن المأمون ، فقال : " قتلني الله إن لم أقتلهم وأفرق جمعهم بقتلهم المتوكل على الله . فلما نظر الأتراك إلى ما يفعل بهم ، وما قد عزم عليه وجدوا منه فرصة " .

ولما قتل المنتصر أباه تحدث الناس بأنه لا يطول له العمر بعده ، وشبهوه بشيرويه بن كسرى حين قتل أباه ولم يستمتع بالمُلك بعده . قالوا لما قتل المنتصر أباه وبويع له بالخلافة جلس على بساط لم يرى الناس مثله ، وعليه كتابة عجيبة بالفارسية ، فنظر إليها المنتصر واستحسنها ، وقال لمن حضر هل تعرفون معناها؟ فأحجموا وقالوا لا نعرف ، فاستحضر رجلا عجميا غريبا وأمره بقراءتها فأحجم الرجل ، فقال له المنتصر قل وما عليك بأس ، فليس لك ذنب ، فقال الرجل هذا البساط مكتوب عليه أنا شيرويه بن كسرى قتلت أبي فلم أتمتع بالمُلك بعده إلاّ ستة

أشهر، فتطير المنتصر من ذلك ونهض من مجلسه مغضبا ، فلم تتم ستة أشهر حتى مات وكان ذلك سنة (٢٤٨هـ/ ٨٦٢م) .

لم تطل مدة حكم المنتصر، فقد توفي وهو شاب بعد أن حكم قرابة ستة أشهر. ومن المحتمل أن تكون وفاته ناجمة عن دس السم له من قبل أعدائه .

لقد وقع المنتصر في نفس الخطأ الذي وقع فيه الواثق من قبل ، فإنه لم يعين أحداً لولاية العهد بعد أن خلع منه المعتز والمؤيد ، وبذلك ترك المجال أمام زعماء الأتراك للتلاعب مجددا في اختيار الخليفة . وقد وصف لنا الطبري ذلك بقوله : " إن زعماء الأتراك قد استخلفوا قواد الأتراك والمغاربة والأشروسنية على أن يرضوا بمن رضي به بغا الصغير وبغا الكبير وأوتامش ، وذلك بتدبير أحمد بن الخطيب". وقد وقع اختيار هؤلاء على أحمد بن محمد المعتصم ، ولقبوه (بالمستعين بالله). ولم يكن اختيار المستعين للخلافة بسبب كفاءته أو مقدرته، فمن الطبيعي ألاّ يفكر الأتراك في ذلك . وإنما وقع اختيارهم عليه لكي يضمنوا إبعاد أولاد المتوكل عن الخلافة ، خوفا من أن يدرك هؤلاء ثأر أبيهم الذي قُتل غيلة منهم .

ولم يكن اختيار المستعين مرضيا فقد أنكر بعض القواد البيعة ، ووقع نزاع بين الأتراك والأبناء ، استمر ثلاثة أيام ، كانت نتيجته تغلب الأتراك ونجاحهم في إبقاء المستعين في الخلافة .

والمستعين هو أبو العباس أحمد بن المعتصم بن الرشيد ، وهو أخو المتوكل ولد سنة (٢٢١هـ/٨٣٥م) وأمه اسمها مخارق .

وبعد المبايعة أحاط الأتراك بالخليفة الذي وكل نفسه وأمر دولته إليهم ، فقد استكتب أحمد بن الخصيب وعقد لأوتامش على مصر والمغرب واتخذه وزيرا، كما جعل شاهك الخادم على داره ، وكراعه وحرمه وحراسه وخاص أموره ، وقدمه أوتامش على سائر الناس. وبذلك جعل الأتراك من أنفسهم أهل الحل والعقد، واستولوا على أكبر المناصب ، فصارت الدولة بأيديهم .

بذل الخليفة جهدا كبيرا في محاولته لاسترداد سلطته ، غير أن ضعف شخصيته قد حال دون نجاحه ، فقد أطلق يد أوتامش وشاهك الخادم في بيوت

الأموال ، وشاركتهم أم المستعين (مخارق) في ذلك ، فكانت معظم الأموال تنقل إلى هؤلاء الثلاثة ، غير أن السلطة الحقيقية انتقلت إلى أوتامش الذي فرض نفسه وزيرا للخليفة ، واستبد بالأمور وأقطع لنفسه أموالا جليلة ، وعمد إلى ما في بيوت الأموال فأكتسحه . فأخذ وصيف وبغا يتآمران مع من معهما من الأتراك ضده . وفي الوقت نفسه نجحت محاولات المستعين بالله في الاستعانة بالجند الشاكرية الذين كانوا متذمرين من استيلاء الأتراك على إدارة الدولة ، وتحكمهم في الخلفاء بقتل من أرادوا واستخلاف من أحبوا من غير ديانة ولا نظر في مصالح الأمة ، وإغرائه لهم بقتل أوتامش. فكان ذلك إضافة إلى دسائس وصيف وبغا سببا في ثورة الشاكرية والفراغنة وقسم كبير من الأتراك على أوتامش ومحاصرته ، وقد لجأ أوتامش إلى الخليفة المستعين واستجار به ، فلم يُجره ، حيث قتله الجند، وقتلوا معه كاتبه شجاع بن القاسم، كما نهبت دورهما بموافقة المستعين الذي عمم منشورا إلى الأطراف بلعنه .

لم يستطع المستعين أن يحصل على ما كان يطمح إليه من استرجاع لسلطانه ، فقد حاول أن يستوزر برأيه عبد الله بن محمد بن يزداد ، فلم يرض الأتراك بذلك وعندما أصر الخليفة على استيزاره ، تعرض الوزير لغضب بغا الصغير والأمراء الأتراك متذرعين بأنه ضيق عليهم الأموال ، فهرب إلى بغداد بعد أن هددوه بالقتل .

كما حل (باغر) محل أوتامش ، وكان هذا قويا شريرا كما كان حذرا . ولما أحس بمكائد وصيف وبغا ضده ، وبتعاون المستعين معهما للتخلص منه ، قام بتهيئة جماعته وبخاصة أولئك الذين كانوا قد بايعوه على قتل المتوكل في الماضي، واستعد لقتل المستعين ووصيف وبغا ، والمجيء بعلي بن المعتصم أو بابن الواثق إلى الخلافة وقد وافق أنصاره على خطته .

وتخاذل الخليفة لدى سماعة الخبر ، وقال لوصيف وبغا "ما طلبتُ إليكما أن تجعلاني خليفة وإنما جعلتماني وأصحابكما ، ثم تريدان أن تقتلاني " .

غير أن الكتلة المؤيدة لوصيف وبغا قد نجحت في قتل باغر وعندما ثار أصحاب باغر وتأزم الوضع في سامراء ، اضطر الخليفة ووصيف وبغا الذهاب إلى بغداد ومعهم جل العمّال والكتّاب وبني هاشم . ولعل السبب الرئيس وراء انتقال الخليفة إلى بغداد هو رغبته الابتعاد عن مركز تجمع الأتراك استمرارا لمحاولاته في التخلص من تسلطهم على الخلافة ، واستبدادهم في أمور الدولة الإدارية والمالية . ولا يعني اصطحاب المستعين لبعض زعماء الأتراك اعتماده عليهم بقدر ما يعنى رغبته في سلب قوتهم عن طريق عزلهم عن مصدرالقوة . والاحتفاظ بهم إلى جانبه في البيئة الجديدة التي لم يكن للأتراك فيها أثر كبير .

لقد أحس الأتراك بحرج موقفهم بعد انتقال المستعين إلى بغداد ، إذ أن ذلك يعنى خروج الخليفة عن نطاق تأثيرهم المباشر، ويفقدهم كثيرا من الإمكانات والامتيازات التي كانت لهم ببقائه في سامراء ، فحاولوا استرجاع ما فقدوا بحكمة ، وأوفد زعماءهم إلى الخليفة وفدا من وجوه الموالى واعترفوا بذنوبهم وأقروا بخطأهم وضمنوا له أن لا يعودوا ولا غيرهم من نظرائهم إلى شيء من ذلك مما أنكره عليهم . وقد أظهر الخليفة الرضى عنهم وقبول اعتذارهم ، إلاّ أنه امتنع عن إجابتهم إلى العودة إلى سامراء ، ووعدهم بإرسال أرزاقهم بانتظام من بغداد .

وهكذا يتضح أن المستعين بدأ عهده بالاضطراب والتطاحن على السلطة ، لكن الأتراك لم تدم وحدتهم ، فإنهم بعد أن انتصروا انشقوا على أنفسهم ، وبدأ يتكون من بينهم أحزاب متناحرة على الاستئثار بالنفوذ ، وقد وجد الخليفة (المستعين) فرصته في الخلافات التي نشأت بين الأتراك للتخلص من زعمائهم شيئا فشيئا ، حيث قام بنفي أحمد الخصيب إلى أقريطش واستصفى أمواله ثم قتل أوتامش حين تآمر عليه وصيف وبغا وأغريا به الموالى لاستثاره بالأموال دونهم .

لم يذعن الخليفة المستعين إلى الأتراك ، وبذلك جاهروا بعدائه وأعلنوا خلعه وبايعوا المعتز بسامراء وتكتل حوله أغلب الأتراك . بينما ظل أهل بغداد على ولائهم للمستعين وبيعتهم له ومعهم ابن طاهر الفارسي الأصيل وقليل من الأتراك . ووقعت الحرب بين الطرفين . وحاول كل منهما حصار الآخر وقطع الموارد عنه

. فأما الخليفة فقد كتب إلى الأقاليم يستنجد بها ويقطع الميرة عن سامراء . وأما الأتراك فقد عملوا على حصار بغداد ومنعوا عبور الناس إليها . وتحمل الناس ضغطا شديدا وكانت سنة قاسية عذبوا فيها وتعرضوا لكثير من السلب والنهب وكوارث القتال .

قاتل أهل بغداد قتالا شديدا ، لكن الأتراك نجحوا في حصار بغداد ، ولم يكن العنصر العربي من القوة بحيث يستطيع الصمود طويلا ، فضلا عن أن الطرف الآخر استطاع أن يغري بغا ووصيف بالتخلي عن المستعين بأن وعد بأن يسترد هذان مراكزهما .

وبذلك استرد الحزب التركي وحدته ، وأصبح بذلك مركز المستعين ضعيفا ، ورأى ابن طاهر اتفاق الأتراك وضعف حزب المستعين فتخلى عن مناصرته بل رأى أنه لكي يأمن على نفسه لابد له أن يعمل على أن يتنازل المستعين عن الخلافة .

موقف الخليفتين المعتز والمهتدي من النفوذ التركي :

اضطرب الأتراك والفراغنة وغيرهم من الموالي بسامراء بعد وصول خبر رفض المستعين العودة إلى سامراء ، لأن معنى ذلك فقدانهم الدور الرئيس في الحكم واستعادة الخلافة إلى أهالي بغداد . وقرر زعماء الأتراك في سامراء خلع المستعين من الخلافة ، فبادروا إلى السجن وكسروه وأخرجوا المعتز والمؤيد ومن معهما . وبايعوا المعتز بالخلافة ، بعد أن أعلنوا خلع المستعين . وركب المعتز بالله إلى دار العامة فبايعه الناس وعقد لنفسه اللواء .

وهكذا أدى تنازع الأتراك على السلطة إلى تعرض الدولة إلى حرب أهلية ، فقد تطورت الأزمة وبدأ البيت العباسي الحاكم منقسما على نفسه ، وأصبح للعالم الإسلامي خليفتان في وقت واحد ، وقد إلتف أهالي بغداد حول المستعين ، وأخلصوا له البيعة مدفوعين بعوامل شتى من وفاء ، ونظرة إلى قدسية الخلافة ، ورغبة في التخلص من أذى الأتراك الذين كانت لهم معهم تجربة قاسية في

الماضي ، والمعتز هو المعتز بالله – وقيل الزبير – أبو عبد الله ابن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ولد سنة (٢٣٢هـ/٨٤٦ م) وأمه أم ولد رومية تسمى قبيحة وتمت مبايعته للخلافة سنة (٢٥٢هـ/٨٦٦م) وكان عمره في تلك الفترة تسعة عشرة سنة، ولم يل الخلافة قبله أحد أصغر منه . وكان بديع الحسن ، حتى أنه قال عنه علي بن حرب أحد شيوخ المعتز في الحديث : ما رأيت خليفة أحسن منه . وهو أول خليفة أحدث الركوب بحلية الذهب ، حيث كان الخلفاء من قبله يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة .

وعقد المعتز لأخيه أبيَ أحمد بن المتوكل على إمارة الجيش وفوض إليه أمر حرب المستعين ومن معه،وحصار بغداد ومطالبة أهلها بالبيعة التي كانت له في أعناقهم .

استعد أهل بغداد للحصار، وحصنت بغداد بتقوية أسوارها وحفر الخنادق حولها ، وبثقت المياه بطوجي الأنبار وبادوريا لعرقلة تقدم الأتراك ، وعززت الحراسة على الأبواب بالرجال ، وأوكل المستعين أمر الدفاع عن بغداد إلى محمد بن عبد الله بن طاهر الذي جند كثيرًا من أهالي بغداد واستعان ببعض الخرسانيين الذين صادف مرورهم ببغداد في طريقهم لأداء فريضة الحج، كما استعان بقسم من العيارين عرفانهم ، وهيأ لهم السلاح . وأمر المستعين بقطع الميرة من سامراء من جهتي الموصل وبغداد ، وكتب إلى ولاة الخراج في الأمصار أن يوجهوا الواردات إلى بغداد .

إن هذه التطورات أدت إلى إرباك الإدارة إلى درجة كبيرة وعرضت الدولة للتفكك والانقسام وإشاعة الفوضى . وساهمت إلى حد ما في إظهار الخلافة بمظهر العاجز ، وأكدت أن للجيش زمام التحكم والمبادرة ، فقد كتب كل من الخليفتين إلى أمراء الأقاليم يدعوه لنفسه ويطلب مؤازرته بالفرق العسكرية المتوفرة لديه . وقد انحاز موسى بن بغا إلى المعتز، وكذلك فعل عبد الله بن بغا الصغير، بعد أن كان قد انظم إلى المستعين في بداية الأمر ، وهذا يدل على أن الأتراك في الغالب إلى جانب المعتز أو مستعدين للانضمام إليه ، ويدل على شعورهم بأن سيادتهم متعلقة

بنتيجة هذه الحرب . أما الحسن بن الأفشين فقد توجه إلى بغداد وانضم إلى جانب المستعين .

تحركت قوات المعتز، بعد أن تجمعت في سامراء باتجاه بغداد حيث أحاطت بها من الجانبين وباشرت بمحاصرتها . وقد تحملت بغداد عبء الحصار وويلاته ، وأبدى المدافعون شجاعة ومقدرة كبيرتين ، مما حقق لهم النصر في بداية الأمر . ولكن طول فترة الحصار التي استمرت أكثر من عشرة أشهر، وما صاحبها من انقطاع الموارد الاقتصادية ، وقلة في مواد التغذية التي نجم عنها ارتفاع فاحش في الأسعار ، كل ذلك أدى إلى إضعاف معنويات جيش المستعين فارتفعت الأصوات مطالبة بالعمل على رفع الحصار وتوفير الطعام .

لقد أدرك محمد بن عبد الله بن طاهر بعدم جدوى الحرب ، وتقدم بطلب إجراء المفاوضات لتقرير شروط الصلح مع قائد جيش المعتز أبى أحمد بن المتوكل . وبعد مدة قصيرة توصل الطرفان إلى اتفاق يقضي بأن يخلع المستعين نفسه من الخلافة على أن يبذل له خمسين ألف دينار، ويقطع له إقطاعا بثلاثين ألف دينار على أن يكون مقامه في المدينة ، ويتردد منها إلى مكة . وأن يعطى بغا ولاية الحجاز جميعها . ويولى وصيف الجبل وما والاه . كما تضمن الاتفاق إبقاء محمد بن عبد الله بن طاهر أميرا على بغداد ، ووضعت أسس توزيع واردات الدولة .

لم يستجب المستعين أول الأمر عن إقرار الاتفاق أو الإجابة إلى خلع نفسه من الخلافة ، اعتقادا منه بأن وصيف وبغا سيقفان إلى جانبه . إلاّ أن الأخيرين وافقا على شروط الاتفاق ، خاصة وأنهما قد حصلا على أكثر مما كانا يتوقعان . وبذلك وضع المستعين أمام الأمر الواقع ، وقد خاطبه بن طاهر بقوله :" لابد لك من خلعها طائعا أو مكرها "وقد أجاب في نهاية الأمر مضطرا .

وبالرغم من تحمل الناس في بغداد من ضيق وجوع الحصار ، فإنهم لم يكونوا على استعداد للموافقة على تنازل المستعين عن الخلافة . وعلى ذلك فقد

أخبرهم ابن طاهر في أول الأمر ببقاء الخليفة في منصبه ، على أن يكون المعتز وليّ عهده ، غير أنهم سرعان ما اكتشفوا الحقيقة ، فهجموا على دار ابن طاهر وأحاطوا به ، وكادوا أن يقتلوه لولا تدخل المستعين .

بعد أن كتبت شروط الاتفاق الآنف الذكر ، أمر ابن طاهر قواده بالخروج إلى المعتز بمصاحبة أبى أحمد بن المتوكل ، لكى يوقع على نسخة منه توكيدا له وإقرارا يلزم تنفيذ ما جاء فيه ، وقد وافق المعتز على بنود الاتفاق ، ووقع عليه بخطه وأشهد القواد على إقراره . ووجه معهم من يأخذ له البيعة من المستعين . وعندما أخذت البيعة منه أمر المعتز بأبعاده إلى واسط حسب شروط الاتفاق على أن يسير منها إلى مكة. ثم صدر الأمر باستقدامه إلى سامراء . حيث كانت نهايته. فقد قتل في القادسية قرب سامراء في سنة (٢٥٢هـ/٨٦٦م) . وفي ذلك يقول ابن الأثير : "ولما أراد المعتز قتل المستعين أحمد بن محمد المعتصم ، كتب إلى محمد بن عبد الله يأمره بتسليم المستعين إلى سيما الخادم ، فكتب محمد إلى الموكلين بالمستعين بواسط في تسليمه إليه ، وأرسل أحمد بن طولون في تسليمه ، فأخذه أحمد وسار به إلى القاطول ، فسلمه إلى سعيد بن صالح ، فأدخله سعيد منزله ، وضربه حتى مات" . بذل المعتز بالله جهدا كبيرا في محاولة منه للحد من استبداد الأتراك في شؤون الدولة . غير أن طبيعة الظروف التي أحاطت به عند توليه الخلافة ، وما كان للأتراك من أثر بارز في إسناده في حربه ضد المستعين ، وفي بيعته ، كل ذلك أعطى الأتراك زمام الأمر، وحال دون وصول المعتز إلى غايته .

حاول المعتز أن يدعم المغاربة والفرغانيين ، الذين كانوا يكرهون الأتراك لاستئثارهم بالسلطة دونهم ، وأن يوجد منهم قوة مقابلة للأتراك .غير أن الأتراك أحسوا بالأمر واختلفوا مع الخليفة بسبب ذلك ، ولكن بالرغم من ذلك اتجه المعتز بالله إلى التخلص من زعماء الأتراك منتهزًا فرصة الخلافات بينهم ، حيث كانت أحزابهم لا تكف عن الخلافات ، وإذا كانت تأتي فترات يتوحدون فيها أمام محاولات الخلفاء للقضاء عليهم ، فإن زعمائهم لا يلبثون أن يعودوا لمطامعهم وخلافاتهم ، للاستئثار بالسلطة والحصول على الأموال وجمع الأنصار حولهم ،

وكان أول ما اتجه إليه الخليفة هو القضاء على بغا ووصيف ، باعتبارهما المسؤولين عن الحرب الأهلية التي وقعت بينه وبين المستعين ، لذلك كتب المعتز إلى محمد بن عبد الله بن طاهر الوالي على بغداد أن يسقط اسم وصيف وبغا عن الدواوين وأخذ في التدبير لقتلهما مرتقبا الفرصة المناسبة . وقد أدرك الفرصة حين ثار الجند مطالبين بأرزاقهم لأربعة أشهر، فأرسل لتهدئتهم بغا ووصيف ، ولما أغلظ وصيف في الرد على الجند وثبوا عليه وقتلوه . وبذلك تخلص المعتز من أحد الرجلين وللتخلص من الآخر عمد إلى مصانعة بايكباك أحد زعماء الأتراك الذي كان ينافس بغا ويعتبره خصما له . وأدرك بغا الخطة وحاول كسر الحزب المعادي له وأن يعيد مأساة المستعين بتحريض الخليفة على الخروج إلى بغداد ولكن خطته فشلت وانتهى الأمر بقتله .

أما الطبري فيروى عن مقتل بغا بقوله : لقد جمع بايكباك التركي جموعه وساعده المعتز حتى تمكن من بغا فقتله ونصب رأسه بسامراء ثم ببغداد ووثبت المغاربة على جثته فأحرقوها بالنار وتتبع عبيد الله بن عبدا لله بن طاهر أبناؤه ببغداد ، فحبس من ولده وأصحابه خمسة وعشرون شخصا وصارت الكلمة العليا عند الأتراك لصالح بن وصيف وبايكباك . حتى أنه قيل في يوما ما : كان المعتز جالسا على سرير الخلافة ومعه خواصه وأحضروا المنجمين ، وقالوا لهم انظروا كم يعيش وكم يبقى المعتز في الخلافة ؟ وكان بالمجلس بعض الظرفاء فقال أنا أعرفُ من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته ، فقالوا له فكم تقول أنه يعيش وكم يملك ؟ فأجاب مهما أراد الأتراك ، فلم يبق في المجلس إلاّ من ضحك .

ويقول الخضري : في سنة (٢٥٣هـ/٨٦٧م)" شغب الأتراك والفراغنة والأشروسنة وطلبوا أرزاقهم لأربعة أشهر فخرج إليهم بغا ووصيف وسيما الشرابي فكلمهم وصيف وقال لهم : ما تريدون ؟ فأجابوا أرزاقنا . فقال : خذوا ترابا وهل عندنا مال ؟ وقال لهم بغا ! نذهب فنستأمر أمير المؤمنين ومضى هو وسيما وبقى وصيف في أيديهم فوثب عليه بعضهم فضربه بالسيف ضربتين ووجأه آخر بسكين ثم أجهزوا عليه ونصبوا رأسه على محرك تنور" .

لقد أدرك الأتراك بالخطر نتيجة إقدام المعتز على قتل رؤسائهم ، وبذله المحاولات للتخلص منهم واعتماده على المغاربة والفراغنة دونهم ، ومما زاد الأمر تعقيدا ، خلوّ الخزينة من المال ، حتى إن الخليفة لم يتمكن من دفع الرواتب بصورة منتظمة ، ولذلك فقد استقر رأيهم على خلعه .

وبالرغم من أن المعتز كان يدرك بأن علاقته بالأتراك ستتوتر ولهذا فإنه أقدم على خلع أخيه المؤيد من ولاية العهد وسجنه ، وبعد أن بلغته بعض الوشايات عن احتمال إخراج الأتراك له من السجن وتوليه الخلافة ، أمر بقتله . كما حبس أخاه أبا أحمد ثم نفاه إلي البصرة ، وكذلك نفى علي بن المعتصم إلى واسط . ومحمد بن الواثق إلي بغداد .

ومن المحتمل أن تكو ن لهذه الاجراءات علاقة برغبته في تولية ابنه عبد الله، ولاية العهد وقد ورد ما يؤيد ذلك ، إذ أن المعتز أمر بضرب اسم ابنه على الدنانير، كما نظم البحتري قصيدة في مدح المعتز طلب منه تولية ابنه العهد بعده . ويبدو أن الفرصة لم تتح للمعتز لتنفيذ هذه الرغبة ، فقد استغل الأتراك الظروف واتفقوا مع المغاربة والفراغنة على الشغب مطالبين بأرزاقهم المتأخرة فاستعان المعتز بأمه وكانت تملك أموالا كثيرة – فأنكرت وجود الأموال عندها . وعندما عجز عن توفير الأموال ، دخل عليه جماعة من الأتراك وهو في مجلسه ، فسحبوه من رجله إلى باب المجلس و"ضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه ، وأقاموه في الشمس ، فكان يرفع رجلا ويضع أخرى لشدة الحر ، وكان بعضهم يلطمه وهو يتقي بيده ثم أدخلوه حجرة ، وأحضروا قاضي وجماعة شهدوا على تنازله عن الخلافة بعد أن أمّنوه على نفسه وماله وولده ، غير أنهم لم يفوا بذلك ، فقد سجنوه إلى أن مات . وهكذا كانت نهاية المعتز نهاية مؤلمة تدل علي طغيان الجند وقادتهم وسوء أدبهم وسلوكهم ، كما استطاع الأتراك قتل الوزير أحمد بن إسرائيل وقتل زعيمي فرقة المغاربة محمد بن راشد ونصر بن سعيد .

أحضر الأتراك محمد بن الواثق من بغداد والتي كان المعتز قد نفاه إليها وذلك من أجل مبايعته للخلافة . وقد وردت روايتان متضاربتان عن ذلك أولاهما :

رواية المسعودي والتي ذكر فيها أن محمد بن الواثق رفض قبول البيعة ، أو الجلوس على سرير المُلك حتى يرى المعتز ويسمع بنفسه تنازله عن الخلافة بعد إقراره بالعجز . أما الرواية الثانية فهي ما أورده ابن الأثير والتي قال فيها : " ولم يقبل بيعته أحد " فأُتي بالمعتز، وخلع نفسه ، وأقر بالعجز عما أُسند إليه ، وبالرغبة في تسليمها إلى ابن الواثق ، فبايعه الخاصة والعامة .

والمهتدي هو محمد بن إسحاق بن الواثق بن المعتصم بن الرشيد وأمه أم ولد رومية يقال لها وردة . ولد سنة (٢١٨هـ/٨٣٣م) وبويع له بالخلافة بعد أن خلع المعتز نفسه عام (٢٥٥هـ/٨٦٩م) ولقب بالمهتدى بالله .

ويذكر العمراني في مبايعة المهتدي بالله : عندما أرادوا مبايعة المهتدي قال: لا أفعل حتى أسمع بأذني خلع المعتز نفسه والمثل السائر "لايجتمع فحلان في شول ولاسيفان في غمد" فأدخلوه إليه فسلم عليه بالخلافة وجلس بين يديه ، فقالوا له : ارتفع ، قال : لا أرتفع إلاّ أن يرفعني الله بخلافته . ثم قال له : يا أمير المؤمنين خلعت أمر البرية عن عنقك طوعا ورغبة ، وكل من كانت لك في عنقه بيعة فهو بريء منها ؟ فقال من الخوف : نَعم ! فقال غفر الله لنا ولك يا أبا عبد الله . ثم ارتفع حينئذ إلى صدر المجلس وبايعه الناس .

كان المهتدي رجل ورع وتقوى ، وكان شديد الرغبة في الإصلاح ، فقد رأى الفساد يعم الدولة ، لافتقارها إلى الأمن في الداخل ، وبقيام التطاحن بين الطوائف ، وإهمال العمال والرؤساء ، والتهالك في الملذات وارتكاب المنكر والموبقات . كما رأى تفكك البيت الخلافي نفسه ، وانصراف الخلفاء إلى اللهو وبعدهم عن الرعية وعدم إدراكهم لمشاكل الناس مما قلل من قيمتهم وقدرتهم على تصريف الأمور في نظر الناس ، وجعل من الأتراك حلقة الاتصال بين الخليفة ورعيته .

فرأى أن يبدأ الإصلاح من البيت الخلافي نفسه ، متجرد من مظاهر الأبهة وزخرف الحياة، مقتديا في ذلك بالخليفة الورع عمر بن عبد العزيز . ثم نهى عن

المنكر وحرم الشراب ونهى عن القيّان ، وأظهر العدل ، وكان يحضر كل جمعة إلى المسجد الجامع فيخطب الناس ويؤمهم . ثم دقق الإشراف على الدواوين ، حتى لقد ضرب جماعة من الرؤساء أهملوا أعمالهم [١] ، وأخذ ينظر في المظالم بنفسه ويرد الكتب إلى النواحى يأمر فيما يتظلم به إليه ، حتى ثقلت وطأته على العامة والخاصة .

كانت سياسة المهتدي تؤتى ثمارها ، ولولا أن الأحوال العامة من حوله كانت فوق طاقته ، ففي مستهل خلافته ثار العامة في بغداد وأبو أن يبايعوا له ، واضطر إلى بذل المال لإخماد ثورتهم ، كما أذكى العلويون نار الثورة في كثير من البلاد الإسلامية ، وبدأت ثورة الزنج التي هددت الدولة العباسية زهاء أربعة عشرا عاما (٢٥٥-٢٧٠هـ/٨٦٨-٨٨٢م) وثار الخوارج في الموصل ثم إن الأتراك لم يتركوا له سبيلا للإصلاح .

وبذلك عمل على التخلص من نفوذهم لكي تستعيد الخلافة فعاليتها وقدرتها على تصريف الأمور في حرية ، فقد سلك معهم سياسة ذات حدين ، فهو من جهة بدأ بتقوية الأبناء للاعتماد عليهم كقوة مقابلة للأتراك ويحفظ عن طريقها التوازن معهم ، وتقرب من العامة والعلماء من علماء الدين وجمعهم حوله .

وهو من جهة أخرى حاول توسيع شقة الخلاف بين الأتراك وضرب بعضهم ببعض فقد كاتب بايكباك ، وهو أحد القادة الأتراك الطموحين ، وأغراه بقتل موس بن بغا ومفلح وغيرهم من زعماء الأتراك ، وأن يكون هو الأمير عليهم ، غير أن بايكباك أحس بما ينطوى عليه ذلك من إضعاف لقوة الأتراك ، وشعر بضرورة الوقوف مع جماعته متحدين بوجه الخليفة . وبذلك أخذت علاقتهم بالخليفة تتخذ طابع العداء العلني ، فأظهروا الطعن عليه ، وقد قابل الخليفة تصرفهم هذا بكل شدة وحزم إذ أحضر جماعة منهم وفيهم بايكباك فضرب أعناقهم ، وبلغ الخليفة أن الأتراك قد تشاوروا على خلعه وقتله . فخرج إلى الناس واستدعى موسى بن بغا وأصحابه وخاطبهم : " قد بلغني ما أنتم عليه من أمري ، وإني والله ما خرجت إليكم إلاّ وأنا متحنط ، وقد أوصيت أخي بولدي ، وهذا سيفي ، والله لأضربن به ما

استمسك قائمة في يدي ، والله لئن سقط من شعري شعرة ليهلكن بدله منكم ، أو ليذهبن بها أكثركم . أما دين ؟ أما حياة ؟ أما تستحيون ؟ كم هذا الإقدام على الخلفاء والجرأة على الله ﷻ وأنتم لا تبصرون" .

ورغم اعتذار الأتراك وإنكارهم ، فإنهم استمروا في تآمرهم على حياته ، فرأى ضرورة وضع نهاية لتماديهم ، فاستنفرا العامة ، وخرج من دار الخلافة ، معلقا المصحف في عنقه شاهرا سيفه ، فأباح دماء الأتراك وأموالهم ، ونادى في تلك الساعة الحرجة أنا أمير المؤمنين قاتلوا عن خليفتكم ويا معشر الناس انصروا خليفتكم . غير أن عدم انتظام العامة وخوفهم من قوة الأتراك الذين تجمعوا لدرء الخطر عن أنفسهم ، أدى إلى تفرقهم عن الخليفة الذي سقط مثخنا بجراحه ، حيث حمله الأتراك وحاولوا أن يجبروه على خلع نفسه من الخلافة فأبى ، ومع ذلك فإنهم أعلنوا خلعه .

المصادر والمراجع التي تم الرجوع إليها

أولا : المصادر :

- **ابن الأثير** ، عز الدين علي محمد (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢ م) الكامل في التاريخ (بيروت ، ١٩٦٥ م) .

- **ابن العمراني** ، محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠هـ/١١٨٥م) الأنباء في تاريخ الخلفاء (ليدن ، ١٩٧٣م) .

- **ابن خلدون** ، عبد الرحمن بن خلدون المغربي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٠م) مقدمة بن خلدون (بولاق ، ١٣٢٠م) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار الكتاب اللبناني (بيروت ١٩١٤م) .

- **ابن كثير** ، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمرو (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) البداية والنهاية (القاهرة ،١٩٣٢م) .

- **البلاذري** ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢م) فتوح البلدان ، (القاهرة ،١٩٥٦م) . دار الكتب العلمية (١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م) .

- **التنوخي** ، أبو الحسن علي المحسن بن علي ، (ت ٣٨٤ هـ/ ٩٩٤م) ، ثوار المحاضرة وأخبار المذاكرة (بيروت ، ١٩٧١م) .

- **الخطيب البغدادي** ، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) . تاريخ بغداد منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٢هـ (القاهرة ، ١٩٣١م).

- **الذهبي** ، الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (٧٤٦هـ / ٣٤٥م) دول الإسلام، دار المعارف ،(حيدر آباد،١٣٣٧هـ / ١٩١٨م) .

- **السيوطي** ، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين ، دار التراث ، (بيروت ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) .

- **الصولي** ، أبوبكر محمد بن يحيى الصولي (ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م) أخبار الراضي بالله والمتقي بالله ، دار المسيرة ، (بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) .

- **الطبري** ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) تاريخ الأمم والملوك ١١ جزء (القاهرة ، ١٩٦٧م) .

- **المسعودي** ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٢٤٦هـ /٩٥٧ م) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الفكر(بيروت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) التنبيه والإشراف دار صعب بيروت .

- **مسكويه** ، أبو علي أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م) ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم (القاهرة ، ١٩١٤م) .

- **اليعقوبي** ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت٢٨٤هـ/١٨٩٧م). تاريخ اليعقوبي "جزءان" (بيروت ١٩٨٠م) البلدان (بيروت،١٨٩٢م) ، مشاكلة الناس لزمانهم دار الكتب الجديد (بيروت ١٩٨٠م) .

ثانيا : المراجــــع :

- **حسن إبراهيم حسن** ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقــافي والاجتمــاعي مكتب النهضة المصرية ، (القاهرة ١٩٦٤م) .

- **حسن ، أحمد محمود** : الإسلام والحضارة الإسلامية في آسياالوسطى (القاهرة ، ١٩٦٨م) .

- **الخضري ، محمد** : محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية " الدولــة العباســية " القاهرة .

- دوري ، **عبد العزيز** : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابــع الهجــري، (بيروت ، ١٩٧٤م) ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، (بغداد ، ١٩٤٥م) .

- **سامرائي ، حسام قوام** : المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية ، دار الفــتح (دمشق ، ١٩٦١م) .

- **شاكر مصطفى** : دولة بني العباس " جــزءان " وكالــة المطبوعــات (الكويــت ١٩٧٣م).

ثالثاً : المصادر والمراجع الأجنبية

1 - Arnold,the caliphate,p.366-365.

2 - Muir,the caliphate,its rise,fall and decline a19,p.p 567-568.

3 - Oman,European history .p.268.